كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين. وبعد...

فإن ما تفرَّدت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم، أن العلم في شريعتها دين وفريضة، بل هو أول فريضة فُرضت عليها من السماء حين هبط أمين الوحي جبريل –عليه السلام– على رسول الله ﷺ يأمره بأن يتلو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾.

ولأن هذه الأمة كذلك فإن عطاءها العلمي لم ينقطع إشعاعه قط على مدار تاريخها الطويل، حتى في أحلك فترات الوهن والضعف الذي مُنيت به هذه الأمة، لم تخل هذه الفترات من علماء أفذاذ مجددين، قادوا مسيرة التنوير والنهوض، كالعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم من الذين أزالوا عن هذه الأمة غبش الجهل والوهن في فترة تمثَّلت فيها أبشع صور التاريخ الإسلامي على الإطلاق –وهي الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الهجري– حيث الصليبيون من الغرب، والتتار من الشرق، والانقسامات والخلافات والتنازع على السلطة في الداخل.

وفي العصر الحديث نجد علماء أفذاذًا –كالأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا– يقودون مسيرة التنوير والنهوض بعد طول استعمار لهذه الأمة من الفرنسيين والإنجليز، ومن شايعهم.

ونحن اليوم وإن كنا نعاني تأخرًا حضاريًّا ملموسًا في شتى المجالات عن غيرنا من الأمم التي أفادت كثيرًا من حضارتنا –إذا كان حالنا اليوم كذلك– إلا أنه لا يستطيع مدعٍ أبدًا أن يدعي أن هذه الأمة قد انقضت، أو أنها قد خلت تمامًا من العلماء والمفكرين المبدعين في شتى المجالات، بل إننا لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن نهضة أمريكا وأوربا الآن تقوم على العقول العربية المسلمة المبدعة التي تحتل مراكز القيادة في المؤسسات العلمية والتكنولوجية في ربوعها المختلفة، وأيضًا تقوم على تلك البحوث والجهود العلمية المهاجرة التي يبدعها خيرة علمائنا ثم يُفَعِّلونها هم؛ لتتحول في معاملهم ومختبراتهم من حيِّز النظرية والتفكير المجرد إلى حيِّز التطبيق الواقعي، مستغلين إمكانياتهم المذهلة، وإنفاقهم غير المحدود على البحث العلمي ومؤسسات التعليم في مراحله المختلفة، وهو ما نفتقده في

ديارنا إلى حدٍّ بعيد.

وفي مجال علوم الشريعة نستطيع أن نقرر بثقة أن هذا العصر لم يخل –والحمد لله– من علماء جهابذة قاموا بجهود مشكورة في فروع الشريعة المختلفة، وهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين».

صحيح أننا ابتلينا في هذا العصر أكثر من غيره بأدعياء العلم والمتطفلين على موائده تحت مسميات عديدة، لكن العلماء العدول –والحمد لله– يقفون بالمرصاد لكل دَعِيٍّ متطفل، ولا تزال عقول هذه الأمة تتفتق عن مواهب مبدعة تستكنه أسرار الشريعة وحكمها ومقاصدها، وتستنطق النصوص بما يوائم العصر وتطورات الزمان.

وإيمانا من دار الإفتاء المصرية بمهمتها الجسيمة في هذه الأجواء المتخمة بالأدعياء والمتطفلين على موائد العلم، هذه المهمة التي تتجاوز أمر إصدار الفتاوى المقررة سلفًا في الخطوب والنوازل، إلى المساهمة الفاعلة في إعادة بعث هذه الأمة من جديد عن طريق نشر صناعة الفتوى الصحيحة، ومحاولة تحويل هذا الجانب إلى بحوث ورسائل علمية متخصصة تتناول بعمق القضايا المثارة، وبطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، والمثالية والواقعية، ولا تغفل النظر المصلحي، ولا الجانب الإنساني بأبعاده الروحية والتربوية والحضارية، مع مراعاة جهات التغيُّر الأربع: الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

لهذا وغيره كان هذا التفكير المدروس من قبل دار الإفتاء في إصدار مجلة علمية محكمة تستنهض بها همم الباحثين الجادين في علوم الشريعة بفروعها المختلفة كي يسهموا بإنتاجهم العلمي المحقق والموثق في إثراء هذه الأمة والخروج بها من أزمتها الحضارية وهذا الانغلاقِ الفكريِّ الذي يجد له أنصارًا كثرًا يملؤون الساحة بضجيجهم وعجيجهم، ينصبون أنفسهم مفتين وحاكمين على سرائر المخالفين لهم، فيرمونهم بالفسق والتبديع وربما التكفير.

وقد تأملت الأعداد الثلاثة التي صدرت قبلُ من هذه المجلة المميزة، فوجدت بحوثًا جادة تتناول بعمقٍ الكثيرَ من القضايا الشائكة والعالقة.

وفي هذا العدد الذي أقدم له توجد باقة من البحوث الجادة المتنوعة؛ لتكون إضافة جيدة إلى ما سبقها من بحوث، ونأمل –إن شاء الله– أن تتواصل مسيرة العطاء للعلم والبحث العلمي، وأن يكون لهذه المجلة المباركة نصيب أوفر من هذا العطاء تحت رئاسة الإمام الأصولي الفقيه الأستاذ الدكتور/ علي جمعة. حفظه الله تعالى.

محمد إبراهيم الحفناوي

أستاذ أصول الفقه
بكلية الشريعة والقانون بطنطا